

تفسير البحر المحيط

@ 525 @ الكافرين ، ولأن الخوف أعظم من الجهاد ، فكان ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى . ويحتمل أن تكون الواو في : ولا يخافون ، واو الحال أي : يجاهدون ، وحالهم في المجاهدة غير حال المنافقين ، فإنهم كانوا موالين لليهود ، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود وتخاذلوا وخذلوا حتى لا يلحقهم لوم من جهتهم . وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله ، لا يخافون لومة لائم . ولومة للمرة الواحدة وهي نكرة في سياق النفي . فتعم أي : لا يخافون شيئاً قط من اللوم . .

{ ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ } الظاهر أن ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف التي تحلى بها المؤمن . ذكر أن ذلك هو فضل من الله يؤتيه من أراد ، ليس ذلك بسابقة ممن أعطاه إياه ، بل ذلك على سبيل الإحسان منه تعالى لمن أراد الإحسان إليه . وقيل : ذلك إشارة إلى حب الله لهم وحبهم له . وقيل : إشارة إلى قوله : أدلة على المؤمنين ، وهو لين الجانب ، وترك الترفع على المؤمن . قال الزمخشري : يؤتيه من يشاء ممن يعلم أن لطفاً انتهى . وفيه دسيعة الاعتزال . ويؤتيه استئناف ، أو خبر بعد خبر أو حال . . { وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } أي واسع الإحسان والإفضال عليم بمن يضع ذلك فيه . . { إِنَّ زَمَنَآ وَلَدِيْكُمُْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، بيّن هنا من هو وليهم ، وهو الله ورسوله . وفسر الولي هنا بالناصر ، أو المتولي الأمر ، أو المحب . ثلاثة أقوال ، والمعنى : لا وليّ لكم إلا الله . وقال : وليكم بالأفراد ، ولم يقل أوليائكم وإن كان المخبر به متعدداً ، لأن ولياً اسم جنس . أو لأنّ الولاية حقيقة هي الله تعالى على سبيل التأصل ، ثم نظم في سلكه من ذكر على سبيل التبعية ، ولو جاء جمعاً لم يتبين هذا المعنى من الأصالة والتبعية . وقرأ عبد الله : مولاكم الله . وظاهر قوله : والذين آمنوا ، عموم من آمن من مضى منهم ومن بقي قاله الحسن . وسئل الباقر عمن نزلت فيه هذه الآية ، أهو على ؟ فقال : عليّ من المؤمنين . وقيل : الذين آمنوا هو عليّ رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال مقاتل ، ويكون من إطلاق الجمع على الواحد مجازاً . وقيل ابن سلام وأصحابه . وقيل : عبادة لما تبرأ من حلفائه اليهود . وقيل : أبو بكر رضي الله عنه ، قاله عكرمة . .

{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } هذه أوصاف ميز بها المؤمن الخالص الإيمان من المنافق ، لأن المنافق لا يدوم على الصلاة ولا على الزكاة . قال تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ

اللَّاهِ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } وقال تعالى : { أَشِدَّةَ عِلَٰى الدَّيْرِ } ولما كانت
الصحابة وقت نزول هذه الآية من مقيمي صلاة ومؤتي زكاة ، وفي كلتا الحالتين كانوا متصفين
بالخضوع لله تعالى والتذلل له ، نزلت الآية بهذه الأوصاف الجليلة . والركوع هنا ظاهره
الخضوع ، لا الهيئة التي في الصلاة . وقيل : المراد الهيئة ، وخصت بالذكر لأنها من أعظم
أركان الصلاة ، فعبر بها عن جميع الصلاة ، إلا أنه يلزم في هذا القول تكرير الصلاة لقوله :
يقيمون الصلاة . ويمكن أن يكون التكرار على سبيل التوكيد لشرف الصلاة وعظمتها في التكليف
الإسلامية . وقيل : المراد بالصلاة هنا الفرائض ، وبالركوع التنفل . يقال : فلان يركع إذا
تنفل بالصلاة . وروي أن علياً رضي الله عنه تصدق بخاتمه وهو راکع في الصلاة . والظاهر من
قوله : وهم راکعون ، أنها جملة اسمية معطوفة على الجمل قبلها ، منتظمة في سلك الصلاة .
وقيل : الواو للحال أي : يؤتون الزكاة وهم خاضعون لا يشتغلون على من يعطونهم إياها ، أي
يئتونها فيتصدقون وهم ملتبسون بالصلاة . وقال الزمخشري . (فإن قلت) : الذين يقيمون ما
محله ؟ (قلت) : الرفع على البذل من الذين آمنوا ، أو على هم الذين يقيمون انتهى .
ولا أدري ما الذي منعه من الصفة إذ هو المتبادر إلى الذهن ، لأن المبدل منه في نية الطرح
، وهو لا يصح هنا طرح الذين آمنوا لأنه هو الوصف المترتب عليه صحة ما بعده من الأوصاف . .
{ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } يحتمل أن يكون جواب مَنْ محذوفاً لدلالة ما بعده عليه ، أي
: يكن من حزب الله ويغلب . ويحتمل أن يكون